لانطفاء نور فطرتهم التي فطر الله الناس عليها لكنهم على طبقات متخالفة حسب تفاوت استعداداتهم وفرقة ختم الله على قلوبهم
وغلبت عليهم شقوتهم وكانوا قوما ضالين قال تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فيجب
على العاقل ان يجتهد في تحصيل الكمالات السرمدية والسعادات السنية لينال الحيوة الابدية فنقول السعادة العظمى
والمرتبة العليا للنفس معرفة الصانع بما له من صفات الكمال والتنزه عن النقصان وبما صدر عنه من الآثار والافعال في النشأة
الاولى والآخرة وبالجملة معرفة المبدأ والمعاد المعبر عنها بالايمان بالله واليوم الآخر ولهذه المعرفة طريقان احدهما طريقة
اهل النظر والاستدلال وثانيهما طريقة اهل الرياضة والمجاهدات والفرق بينهما ان اهل الطريقة الاولى يعلمون علم اليقين
ما يشاهده اهل الطريقة الثانية بعين اليقين وفوقهما مرتبة حق اليقين التي هي مقام الفناء والاستهلاك حكي
ان الشيخ الرئيس ابا علي بن سينا لما صحب مع قطب العارفين ابي سعيد ابي الخير سئل كل منهما عما جرى به مع الآخر
فقال الرئيس يشاهد الشيخ ما نعلمه وقال ابو سعيد يعلم ابن سينا ما نعاينه ثم ان السالكين للطريقة الاولى
ان كان مستندهم في ذلك الادلة السمعية المستندة الى الوحي او ما ينتهي اليها فهم اهل الشريعة والمتكلمون
والا فهم الحكماء المشاؤون والسالكون للطريقة الثانية ان وافقوا في رياضاتهم احكام الشريعة فهم اهل
الطريقة والصوفيون والا فهم الحكماء الاشراقيون وحاصل الطريقة الاولى الاستكمال بالقوة النظرية والترقي
في مراتبها المفصلة في الحكمة الرسمية والغاية القصوى من تلك المراتب هي العقل المستفاد وهي ان تصير النفس
شاهدة لجميع معارفها اليقينية بحيث لا يغيب عنها شيء وذلك لا يكون الا بعد ملاقات النفس بالمبادي العالية
تلاقيا روحانيا واتصالها بالملاء الاعلى اتصالا عقليا فلا يوجد هذه المرتبة لاحد في هذه الدار بل في دار القرار
اللهم الا للمتجردين عن جلابيب الابدان المنخرطين في سلك المجردات اذ قد يوجد لهم في هذه الدار لمعات منه كبروق
خاطفة وحاصل الطريقة الثانية الاستكمال بالقوة العملية والترقي في درجاتها الاربع التي اولها تهذيب الظاهر
باستعمال الشرايع النبوية والنواميس الالهية وثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الردية كالبخل والحسد
والعجب والكبر والريا ونقص آثار شواغله عن عالم الغيب وتسمى هذه المرتبة بالتخلية وثالثها ما يحصل لها
بعد الاتصال بعالم الغيب وهي تحلي النفس بالصور القدسية والملكات السنية ورابعها ما يحصل لها
عقيب الاكتساب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكلية وهو ملاحظة جمال الله تعالى وجلاله وقصر النظر على كماله
وما دام العارف لم يقطع هذه المراتب فهو سائر الى الله فاذا انتهى الى المرتبة الرابعة فقد انتهى سيره الى الله
والسير الى الله بمنزلة الوصول الى ساحل البحر والسير في الله بمنزلة الخوض في لجة البحر فالعارف الواصل الى الحقيقة اذا خاض
لجة بحر الوصول لا يزال ينخلع عن القيود البشرية ويرتفع عنه الغواشي والحجب الجسمانية الا ان يخرج عنها بالكلية

ويتحلى

ويتحلى باخلاق الله تعالى فاذا يرى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات وكل علم مستغرقا في علمه
الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات وكل ارادة مستغرقة في ارادته التي يمتنع ان يتأبى عليها شيء من الممكنات بل كل وجود
وكل كمال وجود فهو صادر عنه وفائض من لدنه فصار الحق حينئذ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها
يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد فهذه مرتبة توحيد الصفات ثم بعد ذلك يعاين العارف ان تكثر هذه الصفات
وما يجري مجراها انما هو بالقياس الى الكثرة التي هي اعتبارات وشؤونات للذات الاحدية واما بالقياس الى مبدأها الواحد
فمتحدة فان علمه الذاتي هو بعينه قدرته الذاتية وهي بعينها ارادته وكذلك سائرها اذ لا وجود ذاتيا لغيره فلا صفات
مغايرة للذات ولا ذات موضوعة للصفات قل هو الله احد وقل الله ثم ذرهم وهذه مرتبة توحيد الذات فليس هناك
واصف ولا موصوف ولا سالك ولا سلوك ولا عارف ولا معروف وهذا هو الفناء في التوحيد ومرتبة حق اليقين ثم النعوت
الالهية والاخلاق الربانية غير متناهية كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فلا انتهاء
للسير في الله الا بفناء السائر في بحر التوحيد قال صاحب الفتوحات المكية بعد ما انتهى امر العارف الى ان رآه في كل شيء
وظهر له سيما من يحب بي يسمع وبي يبصر اراد العارف ان يلقي عصا السفر ويزيل عنه اسم المسافر فعرف ان الامر لا نهاية له
وانه لا يزال مسافرا انتهى فسافروا تصحوا وتغنموا فربح النفس في هذه التجارة هو تحصيل كمالاتها العلمية والعملية
ليستعد بذلك لقرب جوار الملاء الاعلى وخسرانها فقد تلك الكمالات والدنس بالاعتقادات الزائغة والملكات الردية
والاعمال القبيحة فكما تلتذ النفس بعد مفارقة الابدان بمطالعة تلك الكمالات وما يحصل لها من القرب بسببها والتمكن في مقعد صدق
عند مليك مقتدر كذلك تتألم باضدادها وما يحصل لها من البعد والاحتراق بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وهذا
هو المراد باللذات والالام العقليين اذا تقررت هذه المقدمات فاعلم ان المعاد منه ما هو روحاني وهو بقاء النفس بعد خراب البدن
متلذذة او متألمة بلذات والام عقليين واثبته الحكماء والصوفية ومحققوا المتكلمين وقد ورد اليه الاشارة في كلام
رب العزة قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم
وقال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
وقال تعالى ورضوان من الله اكبر ومنه ما هو جسماني وورد به الشرع واجمع عليه اهل الملل الثلث وشهدت به نصوص القرآن
في مواضع متعددة بحيث لا يقبل التأويل وحقيقته اعادة الروح في عالم المثال الى البدن المثالي الذي هو بعينه
هذا البدن في الاسم والماهية لكن بنشأة اخرى ملكوتية مغايرة للنشأة الاولى قال تعالى وما نحن بمسبوقين
على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ثم ان الجنة والنار كل منهما هو صور الاعمال

Copyright © King Saud University